جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

مفهوم الامن الشامل ووسائل تحقيقه في المجتمع الاسلامي الحديث

الدكتور محمد ابو العلا عقيدة

الرياض

1413 هـ - 1993 م

مفهوم الأمن الشامل ووسائل تحقيقه في المجتمع الاسلامي الحديث(*)

الدكتور محمد أبو العلا عقيده

المقدمـــــــة:

الاسلام دين الأمن والسلام في الدنيا والآخرة، ومن أول مقومات تحقيق الأمن للانسان في حياته هو أن يتوافر له جو من السكينة والاستقرار والسلام، ولقد جعل الله تحية المسلمين فيما بينهم «السلام» وتأتي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتؤكد هذا المعنى:

قال تعالى: ﴿والله يدعو الى دار السلام ..﴾[1]، ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ..﴾[2]، ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ..﴾[3]، ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾[4]، ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾[5]، ﴿.. ولا

---

١ ـ سورة يونس. الآية: ٢٥.

٢ ـ سورة الأنفال. الآية: ٦١.

٣ ـ سورة البقرة. الآية: ٢٠٨.

٤ ـ سورة الزخرف. الآية: ٨٩.

٥ ـ سورة القدر. الآية: ٥

(*) ألقيت هذه المحاضرة بمقر المركز بتاريخ ١٤٠٦/٧/٨هـ الموافق «١٩٨٦/٣/١٨م».

تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً . .﴾[1].

وتأتي الأحاديث النبوية لتحض كذلك على «السلام» اللازم لتحقيق الأمن للانسان في المجتمع، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: أي الاسلام خير قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لا تعرف» متفق عليه . . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم، فالسلام على حد قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يؤدي الى المحبة بين الناس وهي مؤدية بدورها الى شعور الأفراد بالأمن النفسي في علاقاتهم ببعضهم.

ولم يكتف المولى عز وجل بتحقيق السلام والأمن للانسان في الدنيا، بل أنعم عليه كذلك بهذا الأمن وذاك السلام في الدار الآخرة، في جنة الخلد . . قال تعالى: ﴿ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود﴾[2]، ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾[3]، ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما* إلا قيلا سلاماً سلاما﴾[4]، ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام . .﴾[5].

١ - سورة النساء. الآية: ٩٤.
٢ - سورة ق. الآية: ٣٤.
٣ - سورة الحجر. الآية: ٤٦.
٤ - سورة الواقعة. الآيتان: ٢٥، ٢٦.
٥ - سورة يونس. الآية: ١٠.

ودراستنا لمفهوم الأمن في الاسلام وكيفية تحقيقه في مجتمعنا الاسلامي الحديث سنقسمها الى قسمين:

يعالج القسم الأول المفهوم الشامل للأمن في الاسلام.

أما القسم الثاني فيتناول بيان كيفية تحقيق هذا الأمن بالمفهوم الاسلامي في المجتمع الاسلامي الحديث.

القســـــم الأول
مفهوم الأمن الشامل في الاسلام

يستمد الأمن مضمونه ونطاقه من عقيدة الاسلام وشريعته، العقيدة بما تتضمنه من الايمان بالله وحده لا شريك له، وبملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، أما الشريعة فهي النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها لتنظيم علاقة الانسان بربه، وعلاقته بأخيه المسلم، وبأخيه الانسان، وعلاقته بالكون والحياة، ولقد نظم الاسلام حياة الانسان بصورة تحقق له الأمن كفرد من أفراد المجتمع وتحقق الأمن للأسرة كنواة لهذا المجتمع ثم أخيراً تحقيق الأمن للمجتمع ككل سواء كان أمناً داخلياً أو خارجياً وذلك على النحو التالي:

أولا: تحقيق أمن الفرد:

يتحقق الأمن النفسي للانسان المسلم أولا بالايمان بالله على وجه اليقين، والخوف من عقابه إذا عصاه، فالايمان الصادق وتقوى الله في السر والجهر كفيل بأن يحقق للانسان الأمن والطمأنينة، ويجعل

علاقته بغيره من الناس علاقة ود وتعاون ومحبة وإخاء، وهو ما يحقق بالتالي الأمن لأفراد المجتمع ككل، فتحقيق الأمن النفسي للفرد يجب أن يتمثل بداءة في خوفه من الله وتأتي الآيات القرآنية لتوضح هذا الأمر في جلاء، يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿.. فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾[1]، ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[2]، ﴿.. إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[3]، ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾[4] .. ونجد في قصص الأنبياء أمثلة عديدة لهذا الأمن النفسي لعباد الله المؤمنين، وفقدان تحقيقه لدى غير المؤمنين: ففي قصة نبي الله لوط قال تعالى: ﴿.. وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك الاَّ امرأتك كانت من الغابرين﴾[5] .. وفي حياة سيدنا موسى عليه السلام أمثلة كثيرة لهذا الأمن النفسي الذي أمده الله به، قال تعالى: ﴿قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى﴾[6]، وقال كذلك: ﴿.. ياموسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾[7].

---

١ ـ سورة آل عمران. الآية: ١٧٥.
٢ ـ سورة النحل. الآية: ٥٠.
٣ ـ سورة يونس. الآية: ١٥.
٤ ـ سورة النور. الآية: ٣٧.
٥ ـ سورة العنكبوت. الآية: ٣٣.
٦ ـ سورة طه. الآية: ٤٦.
٧ ـ سورة النمل. الآية: ١٠.

﴿. . يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾[1]، ثم يوجه العلي القدير وحيه الى أم موسى بقوله ﴿. . فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه اليك . .﴾[2]، وتكمل الآيات هذا الأمن النفسي الذي يمنحه الله للانسان في أصعب المواقف، فيقول تعالى: ﴿فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾[3]، وفي حياة رسولنا الكريم أمثلة كثيرة لهذا الأمن النفسي الذي أحاطه الله به، وأودعه في قلبه ونفسه، فنجد صورة رائعة لهذا الأمن في حادث الهجرة من مكة الى المدينة: فقد حفظه الله من القوم الذين اجتمعوا أمام داره انتظاراً لخروجه فيقتلوه، قال تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾[4]، ومكن له هذا الأمن النفسي خلال الرحلة، قال تعالى: ﴿الاَّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها . .﴾[5]، كذلك في حفظ الله له هو وصاحبه أبو بكر من «سراقة» الذي خرج جاداً في البحث عنهما، دروس وعبر . . وتؤكد الآيات كذلك هذه الحماية وهذا الأمن للمصطفى الكريم، يقول تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾[6]، ﴿. .

---

١ ـ سورة القصص. الآية: ٣١.
٢ ـ سورة القصص. الآية: ٧.
٣ ـ سورة القصص. الآية: ١٣.
٤ ـ سورة يس. الآية: ٩.
٥ ـ سورة التوبة. الآية: ٤٠.
٦ ـ سورة الحجر. الآية: ٩٥.

والله يعصمك من الناس . .﴾[1].

ويتحقق الأمن النفسي للفرد ثانياً بعبادة الله واقامة شعائره وفي مقدمتها الصلاة، فهذا اللقاء الروحي الذي يتم بين العبد وربه خمس مرات في اليوم كفيل بأن يحقق له أكبر قدر من السكينة والطمأنينة إذا ما أداها الفرد بخشوع، قال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾[2].

ويؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى عندما كان يخاطب بلالا حينما يحين وقت الصلاة بقوله: «أرحنا بها يابلال» ففي الصلاة السكينة والراحة، بل فيها البعد عن المعاصي وهو ما يجعل حياة الانسان آمنة مطمئنة، قال تعالى: ﴿. . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . .﴾[3].

وإذا تحقق للانسان المسلم الايمان الصادق بالله وحده، وقرنه بالعمل الصالح فأقام شعائر الدين والتزم بأحكامه فلن يعرف في حياته الخوف أو القلق، بل سيمن الله عليه بالأمن والسكينة، وتأتي الآيات القرآنية لتوضح وتؤكد هذا الأمن الذي يعيشه الانسان المؤمن في حياته . . قال تعالى: ﴿فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[4]، ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف

---

١ - سورة المائدة. الآية: ٦٧.

٢ - سورة المؤمنون. الآيتان: ١، ٢.

٣ - سورة العنكبوت. الآية: ٤٥.

٤ - سورة الأعراف. الآية: ٣٥.

عليهم ولا هم يحزنون﴾[1]، ويقول أيضاً: ﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[2].

ويقول: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[3].

ثم يقيم القرآن مقابلة بين المؤمن وغير المؤمن، مؤكداً توافر الأمن لمن آمن، وحرمان غير المؤمن من الشعور بالأمن والسكينة يقول تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[4]، ويقول كذلك: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[5]، ﴿وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا﴾[6].

ثانياً: تحقيق أمن الأسرة:

الأسرة هي الأساس الأول في صرح المجتمع، وهي اللبنة التي من مجموعها يقام هذا الصرح، وبالتالي كان الاهتمام بها ضرورة

---

١ ـ سورة الأحقاف. الآية: ١٣.

٢ ـ سورة البقرة. الآية: ٦٢.

٣ ـ سورة يونس. الآية: ٦٢.

٤ ـ سورة النحل. الآية: ١١٢.

٥ ـ سورة قريش. الآيتان: ٣، ٤.

٦ ـ سورة النور. الآية: ٥٥.

لازمة لبناء مجتمع قوي ومتين، ولقد نظم الاسلام العلاقة الأسرية بصورة لازمة لبناء الأمن والاستقرار لكل أفرادها بصورة لا مثيل لها في أي تشريع من وضع البشر، وهذا التنظيم الاسلامي الرائع للأسرة يتمثل في تحديد العلاقة بين الرجل وزوجته، وبينه وبين أبنائه، وأخيراً في تنظيم الميراث بصورة تمنع الاضطرابات بين أفراد الأسرة أو بينهم وبين أقاربهم.

١ ـ تكوين الأسرة:

يحض الاسلام على حسن اختيار الزوج والزوجة حتى تبنى الأسرة على أساس سليم، قال ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»، وجعل معيار الأفضلية في الاختيار حسن الدين والخلق، فقال عليه الصلاة والسلام: «إذا جاءكم من ترضون دينة وخلقه فزوجوه» ثم أوضح معايير الناس في اختيار الزوجة، وفي نهاية الحديث قال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» . . كما أباح الشرع النظر الى المخطوبة في الحدود المبينة به، قال رسول الله ﷺ: «أنظر اليَها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»، وجعل الاسلام رضا الطرفين شرطاً لصحة الزواج، ودعانا الى عدم المغالاة في المهور حتى تقوى الألفة وتطيب الحياة بين الزوجين، قال ﷺ: «خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً» . . يهدف الاسلام من البيان السابق الى قيام الحياة الزوجية على أسس متينة من التفاهم والمحبة وهو ما يؤدي الى تحقيق الأمن للأسرة.

٢ ـ العلاقة بين الرجل وزوجته:

يقرر الاسلام بينهما من الحقوق والواجبات المتبادلة ما تحسن به العشرة، وتنمو الرابطة وتطيب الحياة ويتحقق أمن الأسرة، فبالزواج يتحقق سكون القلب وراحة الضمير، وتنمو المودة والمحبة بين طرفي العلاقة الزوجية والى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة . .﴾[1]، ويقرر الاسلام مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في كل الحياة الزوجية بصورة لم يأت بها تشريع من قبل، قال تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾، وإذا كان التشريع الاسلامي قد جعل القوامة في البيت للرجل فلم يقرر له سلطة للتحكم والطغيان، بل هي مقابل للمسئولية الملقاة على عاتقه.

كما أمر الاسلام بحسن المعاشرة بين الزوجين، فللزوج على زوجته حق الطاعة والاخلاص له ولأبنائه، ولها عليه حسن معاشرتها والانفاق عليها.

قال تعالى: ﴿. . وعاشروهن بالمعروف . .﴾[2]، وقال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً» وإذا حدث الشقاق وسوء الفهم بين الزوجين، فالمنهج الاسلامي يوضح لنا كيفية مواجهته وذلك على النحو التالي:

«الصلح بينهما بواسطة محكمين من أسرتيهما، وإذا نشزت

---

١ ـ سورة الروم. الآية: ٢١.

٢ ـ سورة النساء. الآية: ١٩.

الزوجة فللزوج أن يصلح من حالها ويقومها على الوجه المبين بالقرآن وهو: الوعظ والهجر والضرب، وإذا استحالت العشرة بينهما شرع الطلاق والخلع والتطليق للضرر».

هذا التنظيم المتكامل والشامل للعلاقة بين الزوج وزوجته قصد منه تحقيق الاستقرار والأمان في نطاق الأسرة، وهو ما يترتب عليه أن ينصرف كل عضو من أعضائها الى عمله وقيامه بالمسئوليات الموكولة اليه، ويتحقق للأبناء الطمأنينة والسكينة والمحبة اللازمة لهم في ظل الأسرة.

٣ ـ العلاقة بين الآباء والأبناء:

إذا كان للزوجة حقوق على زوجها فإن لأبنائه كذلك حقوق عليه، قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» فللأبناء على الآباء حق الانفاق عليهم وحسن تربيتهم وتعليمهم وتوفير جو من الأمن والراحة في حياتهم الأسرية، وللآباء حقوق تجاه أبنائهم فيجب عليهم أن يبروا والديهم ويحسنوا اليهم والى ذلك يشير العديد من الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألاَّ تعبدوا الاَّ إياه وبالوالدين احسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾[1]، ويجب على الأبناء

---

١ ـ سورة الاسراء. الآيتان: ٢٣، ٢٤.

كذلك الانفاق على آبائهم عند الحاجة.

٤ ـ تنظيم الميراث:

جاء القرآن بتنظيم دقيق للميراث في سورة النساء ليحقق بمقتضاه العدل بين أفراد الأسرة والأقرباء بما يؤدي الى تآلف القلوب والمحافظة على وحدة الأسرة، فيعيش أفرادها في أمان وسلام، والمشاهد عملا أن أي خروج على هذا التنظيم يؤدي الى تنافر القلوب، وامتلاء النفوس بالبغضاء، وقد يؤدي الى الصراع والاقتتال بين أفراد الأسرة الواحدة، فتتفكك وشائج المحبة التي تربط بينهم، وتتفكك عرى الأسرة وتحرم من المودة والأمن الذي يجب أن يسود بين أفرادها.

هذا التنظيم الدقيق والمحكم للأسرة وللحقوق المتبادلة بين أفرادها وللروابط التي تربط بينهم قصد منه الشارع الحكيم أن يوفر للأسرة وهي الركيزة الأساسية في البناء الاجتماعي جواً من الأمن والطمأنينة بصورة ينعكس صداها على أمن المجتمع بشكل عام.

ثالثاً: تحقيق أمن المجتمع ككل:

إذا كان الاسلام قد رسم للفرد وللأسرة طريق الهداية، ونظم الفرد والأسرة بصورة تحقق الأمن والمطمأنينة والسلام لهم، فإن الاسلام كذلك باعتباره دين ودولة قد نظم المجتمع ووضع أسساً يقوم عليها في السياسة والاقتصاد والاجتماع، وفي حالتي السلم

والحرب، وفي تنظيم علاقات الأفراد في المجتمع بعضهم ببعض بصورة تكفل تحقيق الخير والسلام والطمأنينة لهذا المجتمع، وتحقق له الأمن سواء الداخلي أو الخارجي . . وفي السطور التالية نستعرض الخطوات العريضة للمرتكزات الاسلامية لتحقيق أمن المجتمع الداخلي والخارجي.

١ ـ الأمن الداخلي للمجتمع:

يرتكز الأمن الداخلي للمجتمع الاسلامي على عدد من الأسس نذكر منها:

أ ـ إقامة العدل:

تحقيق العدل بين الناس وحصول الأفراد على حقوقهم يعد من أكبر العوامل المؤدية الى انتشار الأمن والاستقرار والطمأنينة بين أفراد المجتمع، وعلى العكس حينما يسود الظلم وتغتصب الحقوق تنتشر الفتنة ويسود الاضطراب أرجاء المجتمع، ولهذا كان أول ما قرره القرآن الكريم مبدأ العدل الذي يجب أن يسود المجتمع قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان﴾[1]، ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾[2]، والعدل في المجتمع الاسلامي مطلوب من الحاكم ومن القاضي ومن الأفراد العاديين في تعاملهم مع بعضهم، فعلى الحاكم أن يقيم العدل

---

١ ـ سورة النمل. الآية: ٩٠

٢ ـ سورة الأنعام. الآية: ١٥٢.

بين الناس، ويتحقق هذا بتطبيق الشريعة، ولقد بينت الأحاديث النبوية المكانة السامية للعدل، وللحكام العادلين: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها» وقال أيضاً: «إن أحب الناس الى الله تعالى يوم القيامة وأقربهم منه إمام عادل، وإن أبغض الناس الى الله تعالى وأشدهم عذاباً يوم القيام إمام جائر»، ولما حقق الخليفة العادل عمر ابن الخطاب العدل في أرجاء الدول الاسلامية قيل فيه (حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر) والعدل مأمور به في القضاء ويعتبره الاسلام نوع من أداء الأمانات قال تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . .﴾[1]، كذلك يجب أن يسود العدل في علاقات الأفراد بعضهم ببعض، بل لقد جعله الاسلام شرطاً يجب توافره لمن يريد أن يتزوج بأخرى، قال تعالى: ﴿. . فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة . .﴾[2].

ب ـ تحقيق المساواة:

جاء الاسلام بنصوص صريحة يؤكد وجوب تحقيق المساواة بين جميع الأفراد، وإن درجة القربى من الله تكون بالعمل الصالح وحده، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

---

١ ـ سورة النساء. الآية: ٥٨.

٢ ـ سورة النساء. الآية: ٣.

وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ..﴾[1].

ويؤكد الرسول ﷺ هذه المساواة بقوله: «الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي الاّ بالتقوى» فالمساواة اذاً من المبادىء التي يحرص الاسلام على تطبيقها وبصورة مطلقة، فلا فضل لفرد على فرد ولا لجماعة على جماعة ولا لجنس على جنس، ولا للون على لون، ولا لسيد على مسود، ولا لحاكم على محكوم، والمساواة في الاسلام تتحقق كذلك في خضوع الجميع لحكم الشرع دون استثناء، ولنا في حديث المخزومية التي سرقت في عهد رسول الله عبرة وعظة، حيث جاء أسامة بن زيد يتشفع لها عند رسول الله فغضب الرسول وقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وتتجلى هذه المساواة أيضاً في علاقة المسلمين بأهل الكتاب من مسيحيين ويهود، حيث يعترف الاسلام بعقيدتهم لا يكرهوا على اعتناق الاسلام، فالقرآن يأمرنا بحسن معاملتهم، قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين﴾[2].

ويبين الرسول الى أي مدى يصل الاسلام في معاملتهم وفي

---

١ ـ سورة الحجرات. الآية: ١٣.

٢ ـ سورة الممتحنة. الآية: ٨.

تحقيق المساواة بينهم وبين المسلمين فيقول ﷺ: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، وقصة المصري المسيحي الذي سبق ابن عمرو بن العاص فلطمه ابن عمرو على وجهه، ولثقة والد هذا الشاب المسيحي في عدل الاسلام وفي تطبيقه لمبدأ المساواة أخذ ابنه وسافر الى الحجاز ليشتكي عمر بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب، فما كان منه الا أن استدعى عمرو بن العاص وابنه، وقال للمصري المسيحي اضرب ابن الأكرمين ثم توجه بالحديث الى عمرو بن العاص قائلا: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

هذا العدل وتلك المساواة بين أفراد المجتمع جميعاً كانت من العوامل التي حققت الأمن والطمأنينة في أرجاء المجتمع الاسلامي، وجعلت كل فرد يشعر بقيمته ومكانته فتعاون الناس جميعاً على الخير وعلى رفعة شأن الأمة، بل تعاون غير المسلمين مع المسلمين وتحقق السلام والأمن الاجتماعي بينهم بصورة لم تحدث في أي مجتمع لا يطبق شرع الله، وما يحدث للملونين من تمييز عنصري في أوروبا وأمريكا في الماضي وحتى الآن، وما يحدث لهم في جنوب افريقيا من اضطراب في الأمن وضياع لحقوقهم لدليل قاطع على أن المساواة في الاسلام تعد من العوامل الأساسية لتحقيق الأمن في المجتمع.

جـ ـ التكافل الاجتماعي:

يعد التكافل الاجتماعي من لوازم الأخوة، بل هو أبرز لوازمها وهو شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض، وإن كل واحد منهم

حامل لتبعات أخيه ومحمول على أخيه، يسأل عن نفسه ويسأل عن غيره، والتكافل الاجتماعي في الاسلام له مظهران احدهما مادي والآخر معنوي، ويتحقق المظهر المادي بمد يد المعونة الى المحتاج واغاثة الملهوف، وتفريج المكروب وتأمين الخائف واشباع الجائع، والاسهام العملي في اقامة المصالح العامة، ولقد دعا الاسلام الى هذا التكافل الاجتماعي في صورته المادية بتقرير الزكاة وجعلها ركناً من أركان الاسلام، كذلك حض على الصدقة حتى يشعر كل فرد في المجتمع وجد في حاجة مادية بالأمان النابع من أن له حقاً في أموال الأغنياء وليس منة منهم عليه، فإقالة عثرته فيه تأمين له والمباعدة بينه وبين طريق الجريمة وهي من أسباب اضطراب الأمن في المجتمع، فلو ترك المحتاج دون صدقة أو نصيب من الزكاة، ولو ترك الغارم الذي أغرقته الديون دون تسديد ديونه أو جزء منها، فقد يدفعه ذلك الى السرقة، أو خيانة الأمانة ليحصل على شيء من المال يساعد في الخروج من عثرته ويترتب على جرمه من اضطراب في أمنه النفسي كمسلم وفي أمن المجتمع المحيط به، من هنا ندرك أن الزكاة أو الصدقة أو النفقة الواجبة تعد عاملا من عوامل تحقيق الأمن في المجتمع المسلم.

أما المظهر المعنوي للتكافل الاجتماعي فيتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أساس ولاية الحسبة كاحدى الولايات الدينية الاسلامية، وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على ولي الأمر وفرض كفاية على بقية أفراد المجتمع معناه

تضامن وتعاون جميع الأفراد على فعل الخير، وعلى مقاومة المنكرات فيصبح كل واحد منهم جندي من جنود الله لفعل الخير ومقاومة المنكر وأي مجتمع يسوده هذا المبدأ السامي لحري بأن يتحقق الأمن في كل أرجائه وجنباته.

د ـ تنظيم علاقة المسلم بغيره من أفراد المجتمع:

إذا كان التكافل الاجتماعي بشقيه المادي والمعنوي يعد صورة من صور تنظيم الاسلام لعلاقة الانسان بغيره من أفراد مجتمعه فبجانب هذا التكافل الاجتماعي توجد مبادىء اسلامية سامية تنظم على أسمى وأكمل وجه علاقة الانسان بالمحيطين به من الناس، هذه المبادىء لا تعد ولا تحصى ولكن نكتفي بذكر بعضها، إذا أخذنا مثلا علاقة الجار بجاره نجد الأحاديث النبوية قد نظمت هذه العلاقة بصورة تشيع جواً من الأمن والاستقرار بل التعاون والمحبة بين الجيران، يقول المصطفى صلوات الله عليه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»، ويقول: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل من يا رسول الله؟ قال الذي لا يؤمن جاره بوائقه»، ويصل الرسول بهذه العلاقة الى أسمى صورة فيقول «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيوّرثه»، ولو نظرنا الى أي مجتمع غير اسلامي أو اسلامي لا يتمثل الفرد في سلوكه هذه المبادىء لشاهدنا المشاكل التي تحدث بين الجيران والخصام الذي يصل بهم الى المحاكم بل والعنف والاقتتال، بل لو نظرنا الى تلك المجموعة التالية من الأحاديث النبوية الشريفة وما تحمله من معان سامية كفيلة بأن

تخلق مجتمعاً راقياً تسوده المحبة والتعاون والاخاء والطمأنينة والسكينة، أنظروا وتفهموا بعناية قول الرسول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم»، «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، «لا ضرر ولا ضرار»، وأخيراً يجمع كل هذه المعاني الخالدة في قوله «الدين المعاملة»، فالاسلام ليس طقوساً تؤدى ولكنه منهج حياة وسلوك وتربية يرتقي بالانسان الى أسمى مراتب الانسانية، وتجعل الأمة الاسلامية سيدة لجميع الأمم، ولقد انتصر الاسلام دائماً في جميع البلاد التي وصل اليها بسلوك المسلمين النموذجي الذي كان يعكس مبادىء الاسلام وقيمه الخالدة.

كما ينهى الاسلام عن الغش في التعامل وعن الخديعة وعن شهادة الزور وعن خيانة الأمانة وعن الرشوة وعن الغيبة والنميمة، كل هذه المبادىء السامية لو تمثلها الانسان في سلوكه لعاش في مجتمع أول ما يسود فيه هو الأمن والطمأنينة، ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى هؤلاء المسلمين المطبقين لمبادىء الاسلام بأنهم: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾، ولكن للأسف الشديد لسان حال المسلمين اليوم يقول بعكس ذلك لعدم تمثلهم بقيم ومبادىء الاسلام السابق الاشارة اليها.

هـ ـ تطبيق الحدود:

تحرص الشريعة الاسلامية على المحافظة على الضرورات الخمس اللازمة لكيان المجتمع وهي: الدين، العقل، النفس،

النسل، والمال والمحافظة على هذه الضرورات تتم وفقاً للمنهج الاسلامي:

أولا: عن طريق تربية الفرد المسلم تربية اسلامية تقوم على غرس القيم والمبادىء السامية التي سبق الاشارة الى بعضها.

ثانياً: بتقرير العقوبات الرادعة لتكون موانع قبل الفعل وزاجر بعده، والاعتداء على حدود الله التي تحمي الضرورات الخمس السابق ذكرها يؤدي الى اضطراب الأمن في المجتمع لأنه خروج على الشريعة وجب مواجهته بالعقاب حتى يستقر الأمن في المجتمع، قال تعالى: ﴿.. تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[1].

ولو نظرنا الى الحكمة من التجريم في بعض الحدود لعرفنا فوراً أن أي انتهاك لها يؤدي الى مفاسد وجرائم واضطراب الأمن في المجتمع، مثلا تحريم شرب الخمر، فبجانب رغبة الشارع في المحافظة على الصحة والكرامة الانسانية فإن الانسان تحت تأثير الخمر يندفع الى الشر والى ارتكاب الجرائم، لا سيما جرائم القتل والضرب والاغتصاب، وبالتالي تعد الخمر عاملا من عوامل الاضطراب في المجتمع، ولنأخذ مثالا مستمداً من بعض الاحصاءات الفرنسية لسنة ١٩٧٥م المتعلقة بحوادث السيارات على الطرق والتي تشير الى أن أكثر من ٦٠٪ من حالات القتل الناتجة عن هذه الحوادث ارتكبها أشخاص كانوا يقودون سياراتهم وهم في حالة سكر، هذه

---

١ - سورة البقرة. الآية: ٢٢٩.

الاحصاءات تشير الى ما يزيد عن ١٣ ألف حادث قتل عام ١٩٧٥م ناتجة عن حوادث الطرق، ولهذا اضطر القانون الفرنسي الى جعل مجرد قيادة السيارة في حالة سكر جريمة رغم أن شرب الخمر غير محرم هناك.

كذلك في حد السرقة فإن الاسلام لا يقرر هذه العقوبة الصارمة للسارق «القطع» لمجرد اعتدائه فقط على ملكية الغير رغم ما للمال من أهمية في المجتمع، ولكن يضاف الى هذا الاعتبار أمر آخر وهو أن جريمة السرقة تؤدي الى المنازعات والى الانتقام والى الاحساس بعدم الأمن، وبالتالي كان هدف التجريم المحافظة على المال والعمل على استقرار الأمن في المجتمع. نفس الحكمة تدركها في العقوبات الصارمة المقررة في حد الحرابة حيث يأخذ ترويع الآمنين في أرواحهم وأعراضهم وأموالهم صورة بشعة، وبالتالي كان يجب مواجهة قطاع الطرق بعقوبات صارمة تكون عبرة لهم ولغيرهم ليسود الأمن في المجتمع، وفي القصاص نجد أيضاً تنظيم رائع لكيفية مواجهة الاضطراب في الأمن الناشيء عن جريمة القتل، فعقوبة القتل هي قتل الجاني قصاصاً ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾[1]، وهذه العقوبة تحقق العدل وتقضي على فكرة الانتقام أو الثأر من الجاني وتحقق أكبر قدر من الردع العام في المجتمع، ولكن توقيع هذه العقوبة موقوف على طلب أهل القتيل، وذلك حتى يفسح المجال للعفو من جانبهم، ولكن لو أرادوا شفاء

---

١ - سورة البقرة. الآية: ١٧٩.

غيظهم من الجاني فلهم طلب القصاص فينتهي الاضطراب في الأمن ونقضي بذلك على عوامل تجدده، ولذلك نشاهد في البلاد الاسلامية التي لا تطبق القصاص بل تقضي على القاتل بعقوبة السجن أو الاشغال الشاقة، إن أهل المقتول ينتظرون خروج القاتل من السجن فينتقموا منه ويقتلوه، فيتجدد الثأر وبالتالي اضطراب الأمن في المجتمع بصورة لا تنتهي.

وهكذا يتضح لنا أن تنظيم الحدود وتطبيق العقوبات المقررة لها يهدف أساساً الى المحافظة على الأمن في المجتمع، وذلك بحماية أرواح الناس وعقيدتهم وأعراضهم وأموالهم، ولننظر الى المملكة العربية السعودية حينما طبقت الشريعة بحزم انخفض معدل الجريمة فيها وساد الأمن في جميع أرجائها.

٢ ـ الأمن الخارجي للمجتمع:

يتحقق الأمن الخارجي للمجتمع الاسلامي بتطبيق فريضة الجهاد دفاعاً عن العقيدة أو دفاعاً عن الوطن أو عن الحقوق المسلوبة أو المعتدى عليها، فإذا كان الوضع الطبيعي في الاسلام هو السلام بين المسلمين وبعضهم، وبين المسلمين وغيرهم، فإن الله قد أذن بالحرب بل جعلها واجباً على المسلمين إذا حدث اعتداء على مقومات الوضع الطبيعي وهو السلام، بأن اعتدي على عقيدة المسلمين أو على وطنهم فهذا يؤدي تلقائياً الى اضطراب الأمن سواء كان أمن العقيدة أو أمن المجتمع ويلزم المسلمين بالرد على هذا العدوان لتوفير الأمن

والسلام للمجتمع الاسلامي، قال تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[1] فالحرب في الاسلام هي حرب دفاعية لأن الحرب الهجومية محرمة اعمالا لقوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[2]، وطالما أن الحرب في الاسلام تفرضها الضرورة فإذا لوح الأعداء بالسلام فيجب تلبية ندائهم حقناً للدماء، قال تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾[3].

وإذا كان الاسلام قد فرض الجهاد وحببه الى نفوس المسلمين، فإن الله قد أوجب على المسلمين أن يكونوا دائماً على أهبة الاستعداد لمواجهة أي اعتداء عليهم، قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ..﴾[4].

ومن المعاصي التي يعزر عليها فاعلها التجسس على المسلمين لصالح الأعداء بما يضر بمصلحة وأمن الدولة الاسلامية الداخلي أو الخارجي، فيجب معاقبة الجواسيس سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم وقد أجاز رسول الله ﷺ قتل الجاسوس.

١ سورة البقرة. الآية: ٢٥١.
٢ ـ سورة البقرة. الآية: ١٩٠.
٣ ـ سورة الأنفال. الآية: ٦١.
٤ ـ سورة الأنفال. الآية: ٦٠.

القسم الثاني
وسائل تحقيق الأمن في المجتمع الاسلامي الحديث

لقد بعد معظم المجتمعات الاسلامية عن تطبيق الشريعة الاسلامية نتيجة لسقوط هذه المجتمعات فريسة للاستعمار الغربي الذي فرض حضارته المادية عليها، وفرض عليها قوانينه لتكون سياجاً يحمي هذه الحضارة، فابتعدت البلاد الاسلامية عن شرع الله فأصابها الوهن والتخلف، واختل الأمن فيها، وفقدت السلام النفسي والاجتماعي الذي كان يظللها وقت أن كانت الشريعة الاسلامية هي الدستور التي يحكم حياتها، وحتى بعد أن تحررت هذه البلاد من نير الاستعمار لم تحاول أن تعود الى شرع الله، باستثناء بعض المحاولات الحديثة في عدد قليل منها. وبالتالي الخطوات اللازم اتباعها في سبيل اعادة تحقيق الأمن في المجتمعات الاسلامية هي الغاء كل القوانين الوضعية التي تخالف الشريعة الاسلامية أو على الأقل تنقيتها من كل ما هو مخالف للشريعة، إذا تمت هذه الخطوة فيجب أن تعقبها خطوة تالية وهي اعادة بناء الانسان المسلم على القيم والمبادىء الاسلامية التي سبق الحديث عنها من محبة واخاء وتكافل وتعاون وعدل ومساواة، ويجب أن يقوم التعليم ووسائل الاعلام بدور بارز في هذا المجال، كما يجب على كل أسرة أن تساهم بدور أساسي في تنشئة أبنائها على قيم الاسلام الخالدة، ويجب أن يلتزم الجميع حكاماً ومحكومين بالشريعة، وللحاكم حق الطاعة على الجميع طالما أنه يحكم بشرع الله ومن يخرج عن طاعته وجب قتاله حتى لا تكون فتنة،

ولكن أساس مشروعيته في الحكم مرتبط دائماً وموقوف على احترامه لشرع الله وتطبيق الشريعة في كل ما يصدر عنه أو عن ولاته من أعمال.

ويجب أخيراً استنفار همم المسلمين بالجهاد واعادة روح هذا الواجب المقدس الى نفوسهم، فحينما غابت هذه الفريضة عنهم سقطت أوطان اسلامية تحت براثن الصهيونية أو الشيوعية، وذاقوا وما زالوا يذيقون فيها المسلمين أشد أنواع القتل والتنكيل دون أن يهب لنجدتهم المسلمون في بقية البلاد الاسلامية. استنهاض همم المسلمين لتخليص الأوطان الاسلامية التي دنسها الصهاينة أو الشيوعيون لأن وجودهم في بلاد المسلمين يعد أحد العوامل التي تؤدي الى اختلال الأمن في المجتمع الاسلامي ككل، ولا نقول كيف يمكن أن نحارب الصهيونية ومعها أمريكا فالرد بسيط وهو متمثل في الكفاح العظيم الذي يعيشه المجاهدون الأفغان ضد قوى الشيوعية الباغية، فرغم ما كان معهم من أسلحة بدائية في بداية الحرب الاّ أنهم بالايمان كانوا ينتصرون، ولقد عبر عن ذلك أحد المراسلين الغربيين وهو غير مسلم حينما عاش معهم فترة في أفغانستان أرسل بعدها الى محطة التلفزيون التابع لها رسالة مصورة لجهاد الأفغانيين معلناً أن ما معهم من أسلحة عبارة عن بنادق من الحرب العالمية الأولى ـ هذا في بداية الحرب ـ وأنهم يقاتلون الروس بالايمان الذي يملأ قلوبهم فكل ما هو مطلوب منّا أن نعد العدة قدر استطاعتنا وأما الباقي فعلى الله حيث قال في محكم التنزيل: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم

ويثبت أقدامكم﴾ .

مما تقدم يتضح لنا بصورة جلية أن مفهوم الأمن في الاسلام يتحقق بصورة كاملة وشاملة لو طبق المسلمون شرع الله كما أراده لهم في الدارين: دار الدنيا ودار الآخرة.

---

١ ـ سورة محمد. الآية: ٧.